مؤلفته الكاتبة الايرانية شاهدورت جافان.. رئيس جمعية حقوق الإنسان يعتبره مسيئا.. والاسلاميون والجهات الامنية يلاحقونه

«فلينزع الحجاب» يثير ضجة ثقافية ودينية في سورية.. المعارضة تطالب بسحبه من السوق والسلطة تستجيب

دمشق ـ «القدس العربي»
ـ من أحمد الخليل:

«التماهي بالمتسلط» عبارة يستخدمها علم النفس لوصف استعارة المقموع لأدوات قامعه في قمع من هم دونه في السلم الاجتماعي أو من هم تحت سيطرته، عبارة الدكتور مصطفى حجازي في كتابه الهام «التخلف الاجتماعي ـ سيكولوجيا الإنسان المقهور» تصلح ـ كما أعتقد ـ لوصف الضجة المفتعلة حول كتاب لا يتجاوز الخمسين صفحة لمؤلفة تروي لنا قصتها مع الحجاب وتحلل لنا أسباب التمسك به من الناحية الاجتماعية والنفسية وتتعرض للاحتجاجات التي حدثت في فرنسا ضد قوانين العلمانية، وتبين بعمق الأسباب التي أدت للاحتجاجات تلك وغيرها مما حدث مؤخرا حيث تتعمق في بحث التهميش الاقتصادي والاجتماعي الذي يتعرض له المهاجرون في فرنسا ودول أخرى مما يؤدي لبروز ظواهر شاذة قد يعتبرها البعض تمسكا بالهوية.

«فلينزع الحجاب»

في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي (2005)، عقد في جامعة دمشق برعاية وزير التعليم العالي مؤتمر «المرأة والتقاليد» وشارك فيه نخبة من المفكرين والمفكرات في هذا الحقل من مختلف بلدان الشرق الأوسط. وزع منظمو المؤتمر في إحدى الجلسات كتابا بعنوان «فلينزع الحجاب»، وهو مطبوع في سورية بشكل نظامي وقد حصل الناشر على رخصتي الطباعة والتوزيع.

ولم يكد يمض يوم على توزيع الكتاب حتى شن بعض ممثلي التيار الإسلامي المعارض هجوما غير مسبوق على الأفكار التي طرحت، في الندوة وعلى الكتاب كما أصبح الكتاب مادة في أكثر من مسجد دمشقي في الأيام التالية، ترافق هذا الهجوم على الكتاب بهجوم آخر، إذ استنفرت بعض الجهات الأمنية والحكومية لملاحقة الكتاب، واستدعت منظم المؤتمر وناشر الكتاب لمساءلتهم، ولم تجد نفعا معهم حجة أن المؤتمر كان برعاية وزير التعليم العالي وأن الكتاب كان مرخصا له من قبل وزارة الإعلام.

المعارضة تستعير أدوات السلطة!!

كتاب «فلينزع الحجاب» لمؤلفته الإيرانية شهداروت جافان وترجمة المغربية فاطمة بلحسن،كانت قد نشرته الصيف الماضي دار بيترا السورية لصاحبها لؤي حسين، وصفه المحامي هيثم المالح الناشط في مجال حقوق الإنسان والمعتقل السابق بأنه «عبارة عن شتائم وغير علمي وغير دقيق يقول إن الإسلام والمسلمين يعتبرون أن ولادة البنت عار عليهم ويغسلون شرفهم بدمها وهذا كلام غير صحيح، والإسلام رفع من شأن المرأة وقدم مرتبتها على الرجل(!!).. هو كتاب لا يوجد فيه علم.. وإذا كانت مؤلفته نشأت في بيت يكره البنت فهذا أمر آخر يجب ألا يحمل للإسلام».

وكان المالح قد زار وزير الإعلام محتجا على نشر الكتاب «زرت وزير الإعلام وتحدثت معه حول الكتاب وأخبرني الوزير أنه توجد اعتراضات كثيرة على الكتاب فسألته كيف توافقون عليه.. لو كان علما لا توجد مشكلة ولكنه كلام لا أساس له من الصحة .. وعند ذلك طالب الوزير من معاونه التحقيق في الأمر، وقال الوزير إنهم سمحوا بطباعته وليس بتوزيعه».

ونفى المالح تحريضه الوزير على منع الكتاب وإنما طلب منه السماح له بنشر كتبه «أنا عندي كتاب اسمح لي بنشره، واسمحوا للآخرين بنشر كتبهم أيضا».

جهات أمنية استفسرت عن الكتاب

الناشر والكاتب لؤي حسين تحدث عن قصة منع الكتاب والضجة المثارة حوله: «من النادر منذ سنوات أن تمنع دائرة الرقابة في وزارة الإعلام السورية كتابا ما لم يكن فيه من الفجاجة أو الجرأة ما يعرّض موظفي الرقابة للمسؤولية». وكان كتاب «فلينزع الحجاب» للكاتبة الإيرانية شهداروت جافان من الكتب التي سمحت بها الرقابة دون أي ضغوط أو تدخلات من أي جهة كانت، هذا لأنه لا يحتوي في متنه أي تطاول على العقائد، ما خلا عنوانه الذي يختصر دعوة مؤلفته إلى عدم إرغام الأهل فتياتهم الصغيرات على ارتداء الحجاب، ليبقى للراشدات حقهن في ارتدائه أو نزعه.

هذا الرأي تعرضه الكاتبة وتدافع عنه من خلال تجربتها مع الحجاب حيث أُجبرت على ارتدائه وهي طفلة لمدة عشر سنوات.

جهات دينية عارضته

ويضيف حسين: «لم يثر الكتاب، على حد علمي واطلاعي، أي جهة دينية. أو للدقة لم يصل الأمر بأي جهة دينية لم يرقها الكتاب إلى حد تقديم احتجاج عليه، وربما اقتصر الأمر على معارضته وإدانة كاتبته. هذا، إلى أن قامت بعض الجهات غير الدينية ممن أزعجها الكتاب أو شيء آخر، أو لرغبتها في أن تكون صاحبة مبادرات تبقيها في الواجهات، أية واجهات، باللجوء إلى جهات أمنية تبلغها احتجاجها على الكتاب».

تفاقم المشكلة

وبشيء من التفصيل يتابع حسين: «هنا بدأت المشكلة، حين رفضت أن يكون لهذه الجهات أي حق في التدخل في قضايا النشر وآلياته القانونية. فتفاقمت الأمور بعدها لأتعرض لضغوطات أمنية شديدة مثل اتصالات تلفونية كثيرة في كل الأوقات ومن أكثر من جهة أمنية تستفسر عن الكتاب وعني بطريقتها الاستفزازية والمهينة، وبعدها تعدى الأمر إلى استدعاءات وتحقيق وقدوم عناصر المخابرات إلى منزلي ومحاولتهم الدخول، ليصل الأمر الى أن تتصل وزارة الإعلام لتبلغني قرار الوزير بمنع الكتاب وتطلب مني سحب الكتاب من الأسواق.

رفضت طلب الوزارة مصرا على حقي في توزيع الكتاب طالما حصلت على الموافقة على طباعته. ورافضا قرار الوزير الذي جاء، حسب أقوال الوزارة، نزولا عند ضغوطات من جهات عديدة. واعتمد ردي على الوزارة أنني أيضا، وآخرين، نشكل جهة سورية لها كامل الحق في نشر كتب موازية لتلك التي تملأ المكتبات تسفه المرأة وتجرم المرأة السفور. وأنه لا يحق للجهات الأمنية، مهما علا شأنها، أن تتدخل في أعمال الوزارات إذا كنا نريد بناء دولة مؤسسات. وإذا كانت الوزارة ستخضع لإرادة المخابرات فالأولى بها أن تتخلى عن دورها الرقابي وتحيل الموضوع إلى الجهات الأمنية.

وكنت قد أبلغت الوزارة أن قرارا من هذا النوع لا يمكن أن يتحمل الوزير تبعاته، فهناك جهات أخرى ستحتج أيضا على قرار المنع من ناحية أنه تدخل سافر في حقنا بالنشر والتعبير، مما سيضع الموضوع تحت أنظار الإعلام الذي لن يوفر هذه الفرصة في تناول الموضوع على أنه خطوة سياسية من قبل السلطة.

وأبلغت الوزارة أن هذا القرار سيكون بمثابة تدخل من الوزير في أمر دستوري يطال قيم الجمهورية التي تنص على حيادية الدولة تجاه فئات الشعب الاعتقادية، وبالتالي سيكون هذا القرار مخالفة دستورية إضافة لكونه مخالفة قانونية، إذ لا يحق للوزير، قانونيا، اتخاذ مثل هذا القرار من طرفه دون الرجوع إلي وقبولي بالأمر، أو دون الرجوع إلى المحاكم المختصة وانتظار حكمها في الموضوع.

الأحداث الأخيرة غطت على الكتاب

ويختم حسين حديثه متهما بعض أطراف المعارضة بإثارة موضوع الكتاب: «والأمر الآن متوقف عند هذا الحد، إذ لم يتم البت فيه بشكل نهائي. فربما عطلة الأعياد أو جسامة الأحداث التي تمر بها البلاد نتيجة قضية التحقيق في اغتيال الرئيس رفيق الحريري، وما أثاره انشقاق عبد الحليم خدام من اضطراب لدى جهات السلطة جعل موضوع الكتاب يفقد أولويته عند وزارة الإعلام والمخابرات، وعند الجهات السياسية والحقوقية «المعارضة» التي كانت وراء إثارة الموضوع والاستقواء بالمخابرات وبالوزارة على عملي وعلى أمني وسلامتي وسلامة أسرتي».

مدير الرقابة: جهات عدة احتجت!

أوضح نبيل عمران مدير الرقابة بوزارة الإعلام: «إنه تم إقرار سحب الكتاب من الأسواق كإجراء لتخفيف حدة الانتقادات مشيرا إلى كم هائل من الاحتجاجات وردت إلى وزارة الإعلام ضد هذا الكتاب»، ولم يحدد عمران من هي هذه الجهات.

وأشار نبيل عمران إلى أن الأساس في الاحتجاج هو العنوان على الغلاف، وقال: «هناك من يقرأ العبارات أيضا بشكل مجتزأ يوحي بأن المقصود هو المسلمون والإسلام بشكل عام ، ونحن وافقنا عليه أساسا بناء على قراءة كاملة وهناك أشخاص توقفوا عند عبارات معينة ووضعوا خطا عند بعض العبارات، وأي كتاب كان لا يقرأ بهذه الصيغة».

الناطق باسم التجمع المعارض ينفي

أحد مصادر وزارة الإعلام أكد أن المحامي حسن عبد العظيم الناطق باسم التجمع الوطني الديمقراطي المعارض «خمسة أحزاب محظورة» زار وزير الإعلام وأبدى استياءه من الكتاب وطالب بسحبه، بينما نفى العظيم هذا الأمر جملة وتفصيلا.

غريزة القطيع

والطريف أن الكثير من المعلقين من القراء قد كفر الناشر والكاتبة على بعض مواقع الانترنيت رغم أن لا أحد منهم كما أعتقد قد قرأه فالكتاب لا يتعرض للدين أو للعقائد إطلاقا فهو يدعو لحرية ارتداء الحجاب من عدمه لكن بعد سن البلوغ « 18» عاماً لكي تختار البنت بنفسها التحجب أو السفور وهذا أحد محاور الكتاب.

ومن جهة أخرى يستغرب المرء من السلبية وعدم الاحتجاج على كثير من المؤلفات والكتب التي تدعو للخرافة والتبصير وقراءة الكف والقتل الطائفي، ألا تخدش هذه الكتب العقل وتدعو لالغائه؟! فالناشر لؤي حسين يقول إن هذه الكتب تسيء له كعلماني وتسيء للعقل وللتحضر فلماذا لا تقوم السلطات الدينية والاستخباراتية بمنعها من المكتبات أو من الشوارع أم أن المسألة هي نوع من التحالف الموضوعي بين بعض رجال الدين والسلطات لقمع العقل وحرية الفكر لمنع أي نهوض فكري وأي حركة تنوير؟!

ورئيس مجلس الوزراء السوري محمد ناجي عطري يمنع التعامل مع داري النشر بترا وايتانا، كما أصدر رئيس مجلس الوزراء السوري محمد ناجي عطري تعميما إلى كل الجهات الرسمية يمنع بموجبه التعامل مع داري النشر ايتانا وبترا على خلفية الضجة المثارة حول كتاب «فلينزع الحجاب».

وجاء في نص التعميم ذي الرقم (218 /15) والمروس بسري للغاية «يطلب إلى الجهات العامة عدم التعامل مع داري النشر «ايتانا وبترا» وأصحابها آملين التقيد بمضمونه».

دمشق (2006/1/9)

وكان كتاب «فلينزع الحجاب» قد وزع على المشاركين في مؤتمر المرأة والتقاليد الذي رعته وزارة التعليم العالي في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي « 2005» والكتاب صدر الصيف الماضي عن دار بترا للنشر والتوزيع تأليف الإيرانية شهداروت جافان وترجمة المغربية فاطمة بلحسن.

والكتاب أثار موجة احتجاج لدى بعض ممثلي التيار الديني المعارض في سورية الذين احتجوا لدى وزير الإعلام السوري على نشره بالتوافق مع ضغوط أمنية على الناشر لؤي حسين.

وهنا تلاقت السلطة وبعض المعارضة وتضافرت جهودهما لمنع كتاب لا يتجاوز الخمسين صفحة ولا يتضمن أية إساءة للدين فالكتاب يروي تجربة شخصية للكاتبة مع الحجاب.

وخطوة رئيس مجلس الوزراء هذه شبيهة بالموقف الذي اتخذه رئيس مجلس الوزراء السابق المرحوم محمود الزعبي حين شكل لجنة لإتلاف أكثر من ثلاثمائة وخمسين نسخة من رواية ممدوح عزام «قصر المطر» موجودة في مستودعات وزارة الثقافة اثر احتجاج بعض مشايخ العقل عليه.

ظهور الحمى القلاعية بين المواشي وانفلونزا الطيور تجتاح المحافظات واغلاق جميع محلات بيعها وأهالٍ يفرون امام ديك شارد والاستعانة بأغنية شعبولا لطمأنتهم

تحذير من استمرار مخطط توريث جمال مبارك ومطالب بالنزول للشارع لمنعه.. مهاجمة وزير الثقافة وانتقاد أحمد نجم لوصفه المصريين بالحشاشين

القاهرة ـ «القدس العربي»
ـ من حسنين كروم:

كانت الأخبار والموضوعات الرئيسية في الصحف المصرية الصادرة أمس عن اجتياح انفلونزا الطيور مزيدا من المحافظات، وإغلاق محلات بيعها ونقلها من محافظة لأخرى، وتحقيقات مصورة وأخبار عن تطورات الأوضاع في كل مكان، وتعامل الحكومة هذه المرة بقدر معقول من الوضوح. رغم مصائبها التي رأيناها وسنرى منها المزيد في قادم الأيام وانتشار أخبار قوية عن ظهور مرض الحمى القلاعية بين المواشي، ولا أعلم حتى الآن إن كانت شائعات حكومية أومن أصحاب مزارع الدواجن ضد تجار المواشي لإصابتهم بنفس الخسائر وعدم إقبال الشعب على اللحوم لمنع ارتفاع أسعارها وهو ما سيجبر الحكومة على سرعة استيراد لحوم من الخارج وبيعها في المجمعات الاستهلاكية بأسعار معقولة بينما تعاني من مصاعب مالية شديدة وأصبحت مجبرة على تعويض أصحاب مزارع الدواجن والبحث عن حل لمئات الآلاف من العمال الذين سينضمون لطوابير العاطلين، كما يصعب معرفة إن كانت أخبار أوإشاعات مرض الحمى القلاعية أطلقها كبار تجار ومستوردي الأسماك لتحويل القوة الشرائية بالكامل إلى الأسماك، خاصة أن أسعارها ارتفعت في اليومين الماضيين بنسبة تصل إلى أربعين في المائة، ربكم الأعلم، وندعوه اللطف بنا في الكوارث المتتالية التي تقع فوق أمهات رؤوسنا من هذا النظام، فقبلها غرق أكثر من ألف مصري مسكين في حادث العبارة المشؤومة وقد تضاءل الاهتمام بها وفشلت ثاني محاولة لانتشال الصندوق الأسود منها. وعقد الرئيس اجتماعين وزاريين الأول مع المجموعة السياسية لبحث مشكلة دارفور ومع المجموعة الوزارية لبحث سياسة البترول، وحضور السيدة سوزان مبارك حفل جمعية تنمية المواهب التابعة للمركز الثقافي بدار الأوبرا بالقاهرة ووفاة المواطن المسكين أسامة أحمد عبد الوهاب صاحب مزرعة دواجن بالسكتة القلبية وحضور الفريق سامي عنان رئيس أركان حرب القوات المسلحة حفل تسليم وتسلم قيادة المنطقة المركزية وأخبار عن اشتباكات بين مسلمين ومسيحيين في عزبة واصف بالعياط، وإصابة أكثر من ستة وقد تعبت من المقدمة ولذلك سأسرع بعرض ما لدينا اليوم.

انفلونزا الطيور

ونبدأ تقريرنا اليوم بانفلونزا الطيور وحالة الهستريا التي تنتاب الحكومة الآن وسخر منها زميلنا بـ«الأخبار» عاطف زيدان رئيس التحرير التنفيذي لجريدة «الخميس» المستقلة في بابه ـ يوميات مفقوع جدا ـ بقوله عن هكذا حكومة: «أين الحقيقة في قضية انفلونزا الطيور؟ هل ظهر المرض فجأة في قلب مصر بمحافظتي القاهرة والجيزة إضافة إلى المنيا؟ أم انه ظهر قبل عدة شهور في المحافظات التي تحط فيها الطيور المهاجرة مثل سيناء وزحف مخترقا محافظات الدلتا حتى وصل قاهرة المعز مما أجبر الحكومة على الاعتراف بظهور المرض! لقد انتشرت في الأسابيع لأخيرة شائعات عديدة حول إصابة بعض المواطنين بالوباء الجديد وإن ثلاثة منهم لفظوا أنفاسهم الأخيرة في مستشفى قصر العيني، ونشرت ذلك الصحف المستقلة ولم تكلف الحكومة نفسها عناء نفي أوتأكيد الخبر، مما أشاع الذعر بين المواطنين وأصبح إقدام أي شخص على تناول الطيور من قبيل المغامرة مما أصاب صناعة الدواجن في مقتل حتى جاء الاعتراف الحكومي مؤخرا ليؤكد ظنون الناس في الحكومة التي ترفع شعار الشفافية ليل نهار. إنني ألتمس العذر للحكومة في انتهاج سياسة «الكذب الأبيض» حماية احدى الصناعات الواعدة من الانهيار، لكنني أطالب بمحاسبتها لعدم اتخاذها الإجراءات الواجبة لحماية حدود مصر من أسراب الطيور المهاجرة المصدر الرئيسي لنقل المرض من خلال نشر فرق لمراقبتها أثناء عبورها الأجواء المصرية بدلا من تركها تحط الرحال في أي موضع تشاء لتنشر الوباء في أرض الكنانة.. إن الحساب ضروري حتى يقوم كل مسؤول بواجبه قبل أن نفاجأ بهجمة أشبه بجحافل الجراد التي ملأت سماء القاهرة والمحافظات وخرج وزير الزراعة السابق ليعلن في مؤتمر صحافي أن الجاني هو الرياح العاتية وأن فرق المكافحة بدأت التعامل مع الموقف.. قولوا الحقيقة وحاسبوا الجناة حتى يدرك الناس حقيقة الموقف.. فأرواح البشر ليست رخيصة حتى نتعامل معها بالشفافية السوداء، أقصد الأكاذيب البيضاء».

ولا اعرف ما الذي يريده عاطف بالضبط من الحكومة؟ هل تمنع الطيور المهاجرة من ان تنزل في بلادنا ونحن أهل كرم وجود؟ هذا بالإضافة إلى أن حركتنا كانت سريعة ومبهرة جدا لمواجهة حظر الدجاج هذا، فقد قال أمس زميلنا عبد الله كمال رئيس تحرير جريدة «روز اليوسف» في بابه اليومي ـ ولكن:

«لم يفاجئني أداء وزير الإعلان أنس الفقي في إدارة أزمة انفلونزا الطيور، وإن أدهشني. لم يفاجئني أنه بدأ التحرك الفوري، اليقظ، العلمي، المنظم والشامل، منذ اللحظة الأولى للإعلان عن اكتشاف المرض بين الطيور في مصر.

لقد جاء الفقي إلى موقعه وهو يواجه التحديات من اللحظة الأولى بدءا من انتخابات الرئاسة، مرورا بالانتخابات البرلمانية، ووصولا إلى أزمة انفلونزا الطيور.. وعبورا على عدة أمور أخرى.. منها انفجار شرم الشيخ وأزمة غرق العبارة.

ولقد كان الاجتماع الذي نظمه الوزراء حول أزمة انفلونزا الطيور، وعشرين رئيس تحرير يوم أول من امس، نقطة فارقة ومهمة في معالجة الأزمة».

طبعا.. وهذا ما لا ينكره أحد، وأكده زميلنا بـ«الأخبار» مصطفى بلال بقوله أمس: «من لطف الله على مصر ان أضاء عقل وفكر وقلب القيادة السياسية العليا فأعدتنا للأمر عدته.. حيث كلف الرئيس حسني مبارك جميع أجهزة الدولة. منذ بدايات ظهور مرض انفلونزا الطيور في آسيا وأوروبا بوضع خطة قومية محكمة للاحتياط ومواجهة احتمال تعرض مصر لهذا الخطر.. لذا نجح فريق الحكومة برئاسة د. أحمد نظيف في التعامل مع الأزمة عند ظهورها بشفافية ومصداقية، وقد انعكس ذلك على عامة الشعب الذين قدروا للحكومة المسارعة بالإعلان عن اكتشاف بعض حالات الإصابة بانفلونزا الطيور في الدواجن».

كما قالت الجريدة في تعليقها: «وإذا كانت الحكومة قد تعهدت بالوقوف إلى جانب جميع العاملين في صناعة الدواجن بمصر وتعويضهم ومساعدتهم، فعليها أن تترجم هذه التعهدات إلى قرارات سريعة وخطوات عملية كما فعلت عندما هاجمت يد الإرهاب الآثمة قطاع السياحة في شرم الشيخ وطابا، فمثل هذا التحرك الحكومي السريع مطلوب وضروري حتى يطمئن هؤلاء العاملون والذين يقدر عددهم بعشرات الآلاف وأغلبهم إما عمال بسطاء أومربون صغار.. كما كشفت كارثة انفلونزا الطيور الدور الإيجابي البناء للإعلام في مصر الذي نجح على مدى الشهور الماضية ومنذ أن بدأ شبح هذه الكارثة يلوح في الأفق في تهيئة وتوعية الرأي العام بها وإعداده لمواجهتها حتى تتجاوزها مصر بأقل الخسائر الممكنة.

لكن كاتبنا الساخر الكبير أحمد رجب شككنا في نفس العدد في بابه اليومي ـ نص كلمة ـ في هكذا حكومة ـ عندما قال: «لأن الحكومة طول عمرها كدابة فالناس لا تصدقها مع انها صادقة تماما الآن فيما تقوله عن انفلونزا الطيور، وكان أول اكتشاف فجر الخميس الماضي فعلا وليس من شهور كما رددت الإشاعات، كذلك لم يصب أي مواطن بانفلونزا الطيور حتى كتابة هذه السطور، والحكومة وهي تقدم كل الحقائق للمواطنين لحظة بلحظة تعدكم بالعودة إلى الكذب بعد زوال الظروف المؤسفة التي اضطرتها إلى الصدق».

وبعد ان انتهينا من الجد نخفف من مصيبتنا بشيء من الهزل فقد نشرت «المصري اليوم» خبرا أرسله من مدينة المنيا بالصعيد مراسلها سعيد نافع جاء فيه: «سبحان مغير الأحوال، بعد أن كان الديك يصيح وننظر إليه بإعجاب.. خصوصا إذا كان كبيرا ويزهو بريشه الجميل، تبدل الحال، وبات الرجال يجرون من أمامه خوفا من مرضه الذي يثير الرعب في أنحاء الدنيا، إذ تسبب ديك تائه في إثارة الذعر في مدينة المنيا أمس، وطلب المواطنون شرطة النجدة وحضرت فرق الطب البيطري والطب الوقائي ونقلوا الديك ووضعوه في كيس بعد أخذ عينة منه لتحليلها».

ونعود إلى «الأخبار» مع المهندس والشاعر الذي لا حدود لخفة ظله ياسر قطامش ومقاله بعنوان ـ مقامة الديك المغرور عن انفلونزا الطيور ـ قال فيها: «حدثنا كتكوت آخر شقاوة اسمه كوكو واوا.. قال: اصيب أبي الديك المغرور، بانفلونزا الطيور ، وانتقلت العدوى لزوجاته الفراخ، فأصبت بالعطس والحمى والانتفاخ كما انتقلت العدوى لإخوتي الكتاكيت، فصاحوا: كاك كوك كيت، وأحضرا لي صديقه الديك كوكو وهو طبيب دمه خفيف زي شكوكو، وبعد أن كشف على ريشنا، قال لنا: أنتم مصابون بانفلونزا الدجاج، وهو وباء ليس له علاج، ويبدو انه انتقل إليكم من غريب يعيش لديكم، فقال أبي: إن التاجر اللعين، المدعو بكوهين، أعطى للست فكيهة العمشة، زوجة صاحب العشة، خمس فرخات آسيوية، على سبيل الهدية، وقد تزوجتهن زواجا عرفيا، لأنهن جميلات مثل «المزز» بتوع الفيديوكليبات، وقد غشني شكلهن «النيولوك» وأصابني المرض منهن بلا شك، وأمر أبي باعتقال هاتيك الفرخات وإن توقع عليهن العقوبات، فصرخت الفرخات: حرام عليك يا قاسي، وطلبن حق اللجوء السياسي، إلى عشة جارنا الديك «كاكي» وهو ديك رومي من بلاد «الكنتاكي»، فقال بلهجة حربية: أبعد يا جدع انت وهيه، والله يا خلق هووه، لو أصابهن مكروه، لأفضحكن في C.N.N وأبلغ مجلس الأمن، وجميعات الدفاع عن حقوق الفراخ، لتكون نهايتكن الشوي على الأسياخ، وربما توجه لكن ضربات بالطيران، من البوم والحدادي والغربان، فنشبت بيننا مشاجرة، وكادت تدور عليهم الدائرة، لولا أن صاحب العشة، سمع الصياح والدوشة، ورآنا مصابين بالعطس والرشح والكحة، فاستعان بطبيب الصحة، فقال: الفراخ مصابة بانفلونزا الطيور، وعليك التخلص منها يا معلم منصور، فصرخ المعلم وزوجته فكيهة، وقالا: والله لنولع في العشة واللي فيها».

هذا وقد طلب عدد من أعضاء مجلس الشورى الاستعانة بالمطرب الشعبي شعبان عبد الرحيم لعمل أغنية عن انفلونزا الطيور لتوعية وتهدئة الشعب.

السلام 98

وإلى كارثة العبارة السلام 98 وغرق أكثر من ألف مصري مسكين في قاع البحر الأحمر ورسالة أشبه بالقنبلة نشرتها جريدة «الفجر» المستقلة، في صفحتها الأولى أرسلها من مدينة السويس محمد المصري إلى رئيس تحريرها عادل حمودة وأحد نائبي رئيس التحرير وهو وائل عبد الفتاح نصها كما نشرتها «الفجر» لا نحن:

«عزيز شعلة النار المقدسة وائل عبد الفتاح تحياتي ودعائي لك أنت وعادل حمودة ألا يمسكما سوء.. منذ ستة أشهر تقريبا كنت أجلس أمام بيتي ومعي بعض رجال محالين على المعاش مثلي.. قال لي أحدهم وقد كان أحد كبار رجال الجمارك.. هل أنت فاكر صاحبك.. قلت من. قال: ممدوح إسماعيل. قلت: ماله.. قال جاءني يوما في سفاجا وقال أنا شاري شاليهين هنا بس مش عارف مكانهم.. قلت له ما تسأل اللي انت شاريهم منه.. قال هوكمان مش عارف مكانهم.. قلت له هومين ده.. قال: ده مسؤول كبير جدا.. طيب دفعت فيهم كام يا هندسة قال خمسة ملايين جنيه.. لا تعليق. كنت أعمل مع ممدوح إسماعيل عام 1977 على السفينة «بلقيس» وهي سفينة ركاب سعودية على خط جدة ـ العريش ـ وكان ممدوح يعمل عليها كبير مهندسين «شيف إنجنير» وكنا نقوم بعمل رحلة كل أسبوع. كان ممدوح يقوم بتهريب الذهب الخام من السعودية ويسلمه لمدير الجمرك الذي يقوم بتهريبه من باب خمسة.. كان ممدوح يشتري من ثلاثين لخمسين سيارة مستعملة من سوق الحراج في جدة ويبيعها في جمرك العريش مع شريكه مدير الجمرك. مرتب البحري على سفن ممدوح إسماعيل 300 جنيه فقط، بينما مرتب البحري على السفن الأجنبية ثلاثة آلاف دولار، لذلك استغل ممدوح الطلبة الغلابة وشغلهم بملاليم وهم لا يعرفون أي شيء عن البحر. عزيزي وائل.. الفساد يا ولدي ليس له نظير إنه في بلادنا أصبح يتعاطى قبل الأكل وبعده ونتوضأ به أيضا قبل الصلاة».

لا.. لا.. هذا فيه الكفاية.. ولا حاجة للمزيد.. ولهذا لن نشير إلى مقال عبد الخالق فاروق في جريدة «الكرامة» والذي بدأه بداية مزعجة بقوله:

«أثارت مأساة غرق العبارة السلام 98 في الشهر الماضي شجون المصريين وأحزانهم ، وبالقدر الذي برز فيه المشهد الحزين الذي يضرب فيه أهالي الغرقى الفقراء في ميناء سفاجا على يدي قوات الشرطة والأمن المركزي وما تعرضوا له من إهمال رجال الدولة جميعهم بدءا من رئيس الجمهورية وزوجته وأولاده الذين تفرغوا تماما لمتابعة وحضور مباريات الكرة والدورة الأفريقية، ويتكسب ابنهم المعجزة «جمال» من ورائها بعمل إعلام لإحدى الشركات الكورية، بقدر ما اعاد طرح السؤال، الذي أصبح يؤرق كل ضمير حي في البلاد، ما الذي جرى؟ وكيف؟ ولماذا يتكرر قتل الفقراء ومن لا صاحب لهم في هذه البلاد وبمثل هذه الطريقة الرخيصة؟ وهل هذا بفعل المقادير؟ أم أن عوامل الفساد والإهمال وراء كل هذا؟

وهكذا أصبح من المستقر في الخطاب العام، سواء بين المصريين أوفي العالم أن «الإهمال» هو «القرين المباشر» و«التوأم الجنيني» لـ«الفساد».

حكومة ووزراء

وإلى حكومة الشؤم والنحس والبيزنس التي أشاد بها زميلنا محمد الباز مستشار التحرير لجريدة «الخميس» الأسبوعية المستقلة بقوله عن إنجازاتها وأياديها البيضاء على الشعب الذي لا يستحقها:

«إن حكومة أحمد نظيف الثانية ومنذ وطأت أقدامه مجلس الوزراء والمصائب تتوالى علينا، لقد تفننت حكومة نظيف وحتى لا نظلمه وحده والحكومات التي سبقته في قتل المصريين والتخلص منهم.. طائرات تسقط وقطارات تحترق وعبارات تغرق والضحايا دائما فقراء معدمون.. والمؤسف أنه في كل مرة تقع كارثة لا تهتز شعرة واحدة في رؤوس الوزراء.. ولا يرتعش ضمير النظام.. بل يتحدثون عما حدث بقلب بارد للغاية.. وكأن الضحايا ليسوا مصريين لهم حقوق على هذا الوطن.. تطوي الحكومة صفحة الكارثة مهما كانت ضخامتها وتفتح صفحة جديدة تنتظر خلالها كارثة جديدة تتعامل معها بنفس الأعصاب الهادئة وكأن الأمر لا يعنيها. أشعر في كثير من الأحيان أن وزراء مصر جميعا لا دم عندهم يجعلهم يستحون ويختشون.. فكارثة العبارة على سبيل المثال كانت كفيلة أن تقيل رئيس الوزراء وليس وزير النقل فقط.. على الأقل من منطلق مسؤوليتهم السياسية عما حدث.. لكن هذه وزارة ليست مسؤولة ولا يشغلها إلا بقاءها واستمرارها في مقاعدها إلى أبد الآبدين.. لقد كان منظر أحمد نظيف مستفزا وهو يقف في استاد القاهرة رافعا العلم مشجعا ومبتسما بعد أن فازت مصر بكاس الأمم الأفريقية.. كان يجب أن يكون رئيس الوزراء أكثر وقارا.. ففي بيوت ألف مصري كان المأتم لا يزال منصوبا.. وكان يجب على نظيف على الأقل أن يشعر هؤلاء أنه مهموم وحزين.. لكن ماذا نفعل وقد ابتلتنا الأقدار برئيس وزراء لا يشعر إلا بنفسه.. ولا يعمل إلا لصالحه».

أما زميلتنا بـ«الفجر» منال لاشين فقد بشرتنا بالآتي: «كلما انتقلت صناديق معاشاتنا من وزارة الشؤون الاجتماعية إلى وزارة المالية، انتابني إحساس بالخوف واليتم، فالمعاشات انتقلت من يد وزارة حانية وتعنى بالفقراء والضعفاء إلى مأمور ضرائب عينه على الحصيلة.. مأمور لا يعرف الرحمة ولا الشفقة في يده سلطة الضبطية القضائية، ولا أعلم ماذا في قلبه؟! ولكنني عندما استمعت لتصور وزير المالية د. يوسف بطرس غالي الذي صار الأب الشرعي والقاسي لأصحاب المعاشات أدركت أن قلب الحكومة من حجر، فطبقا لتصورات د. غالي فسوف يحرم أبنائي ـ وأبناءك ـ من حقهم في معاشاتنا لوأدركنا الموت قبل سن استحقاق المعاش!! وبالتالي علينا أن نستعد ونجري اتفاقا مع «عزرائيل» ـ وهوأرحم الآن من حكومتنا ـ حتى لا نموت قبل سن المعاش، ويتشرد «العيال» ومن الأفضل أن تختار الموت في سن الخامسة والستين حتى لا تضيع عليك أقساط المعاشات التي دفعتها طوال عمرك وتلحق تتمتع بفلوسك ومعاشك كام سنة».

جمال مبارك

وإلى جمال مبارك وهجوم زميلنا جمال عصام الدين ضده في «العربي» بسبب التعديلات الدستورية التي تمت وتحركاته الأخيرة التي قال عنها:

«كل هذا الخداع والتمويه والتزييف يسير جنبا إلى جنب مع سيناريو التوريث ويصب فيه، فالتسويف في تنفيذ برنامج الإصلاح المزعوم هدفه استهلاك المزيد من الوقت حتى المؤتمر العام التاسع للحزب الوطني في ايلول (سبتمبر) 2007، عند هذا الوقت سوف يكون جمال مبارك هو نجم الحزب الأول بلا منازع. والرجل خرج من عزلته الانتخابية مؤخرا وقرر أن ينطلق بكامل ا قوته مرة أخرى وأن يصبح ملء السمع والبصر ويملأ المسرح السياسي بالكامل. فبدءا من حضور مباريات كأس أفريقيا وحتى رئاسة ثلاثة مؤتمرات مرة واحدة في أسبوع واحد كان فيها النجم الأكبر عادت الأمور مثلما كانت قبل الانتخابات وكأن شيئا لم يحدث ولم يكن هناك ذلك الحراك السياسي الذي مثل شوكة في جنب التوريث، ولا يجب إذن في ظل كل هذا الذي يجري أن نراهن مرة أخرى على أن رأس السلطة سيقوم بأي إصلاح لأن هذه الرأس فاسدة منذ فترة طويلة وهي سبب كل كوارثنا وهناك عبارة بليغة تردد صداها في مجلس الشعب الأسبوع الماضي: «الفساد ساب الركبة ووصل الرأس».

لا.. لا.. هذا كثير جدا.. ولا يمكن قبوله أو تقبله، كما يصعب تقبل قول زميلنا وصديقنا مجدي مهنا يوم الاثنين في عموده اليومي ـ في الممنوع ـ بـ«المصري اليوم»:

«سيبقى الإصلاح السياسي في مصر ـ للأسف ـ كما هوالحال في البلدان العربية الأخرى، مرهونا ومرتبطا بأجندة خارجية تتمثل في الضغوط الشديدة التي تمارسها حاليا الإدارة الأمريكية على الحكومة المصرية، ولن يكون لأجندة الداخل أي تأثير، حيث الجميع من أحزاب وتيارات سياسية مشغول ببصراعاته ومشاكله الداخلية، اللهم إلا إذا حدثت نقلة نوعية، وقرر المجتمع المدني النزول إلى الشارع والضغط على الحكومة لتنفيذ مطالب الإصلاح، وشرط حدوث ذلك هو في مدى قدرة واستعداد المجتمع المدني على دفع الثمن، والبديل هوالتدخل الخارجي.. والخارج ضد التوريث بلا أدنى شك». لا توريث ولا يحزنون.. هذه شكوك وظنون رددها أيضا زميلنا الإخواني وعضومجلس نقابة الصحافيين محمد عبد القدوس عندما ادعى القول في عموده ـ ضمير الناس ـ بجريدة «الحقيقة»:

«صدرت حركة تغييرات بالحزب الحاكم وأحكم الابن قبضته على مجريات الأمور والأمر الثاني صعود المليونير أحمد عز إلى منصب أمين التنظيم الذي وجهت إليه اتهامات عديدة باحتكار الحديد والتلاعب في أسعاره لمصلحته الشخصية حتى يزداد ثراء! وأتساءل نيابة عن ضمير الناس: كيف يتم تعيينه بعد كل ذلك في